الكوردي خالد بكداش
زعيم الحزب الشيوعي السوري
١٩٩٥،١٩٣٧

م.مدرس نواف محمد مراد
جامعه دمشق/كليه الاداب/ قسم التاريخ

تجمع المصادر المؤيدة والمخالفة منها، على ان شخصيات كوردية عديدة لعبت دورا بارزا في حياة سوريا السياسية، ومن هذه الشخصيات كان الكوردي خالد بكداش، فمن هو خالد بكداش وما دوره في الحزب الشيوعي السوري؟.

ولد خالد بكداش بن قوطرش في سنة ١٩١٢، وكان والده ضابطا في الجيش العثماني، و احد المشاركين في معركة ميسلون الوطنية(١) تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة التطبيقات النموذجية الأبتدائية، وتخرج منها يحمل شهادة (السرتفيكا) بتفوق في حزيران سنة ١٩٢٥، وبسبب تفوقه قوبل طالبا داخليا مجانيا في مكتب عنبر، وهي مدرسة التجهيز الوحيدة في دمشق انذاك، وقد نال المرتبة الأولي على مستوى سوريا في شهادة البكلوريا ×قسم الرياضيات« سنة ١٩٣٠ (٢)وتميز بشخصية قوية وقدرة كبيرة على الخطابة، وبعد نيل البكلوريا دخل الي كلية الحقوق، لكنه لم ينه دراسته لإنشغاله بالسياسة(٣)

يشير خالد بكداش في مذكراته بخصوص البيئة التى اطل منها على الحياة، إلي إن الكورد يسكنون في العاصمة السورية دمشق منذ القدم، وانه من المعروف انهم يسكنون فيها منذ القرن الحادي عشر الميلادي وهم بذلک

دمشقيون أصلاء، شاركوا في جميع معارك التحرير التى خاضها الشعب بدءا من الحروب الصليبية وحتى الثورة السورية الكبرى سنة ١٩٢٥ (ان الحي الذي نشأت وترعرت فيه احد معاقل الثورة السورية، وهو شيء معروف للجميع ... انه التاريخ المشترك للقوميات المتآخية في سوريا)، ويذكر (إما في العاصمة فمن المعروف أيضا إن الأكراد متواجدون في دمشق منذ القرن الحدي عشر الميلادي وهم بذلك دمشقيون اقحاح)(٤).

ويضيف شارحا فصولا من سيرة حياته :« لقد اعطيت دروسا خصوصية في الرياضيات واللغة الفرنسية ثم توظفت في وزارة المالية بمصلحة: البندرول حيث كان هناك معامل خاصة للسكائر والتنباك وكان البندرول يضع على كل علبة مصنعة شريطة، كما اشتغلت في الصحافة في جريدة الأيام التى كان يديرها عارف النكدي من جبل العرب، كما عملت في جريدة ×القبس« وكان رئيس تحريرها الوطنى المعروف الاستاذ نجيب الريس وفي الثلاثين كنت قد اصبحت عضوا في الحزب صرت مراسلا قضائيا لجريدة (القبس) التى كان يرأس تحريرها نجيب الريس وبعد ذلك تفرغت للعمل السياسي (٥)

انتسب خالد بكداش إلي صفوف الحزب الشيوعي السوري سنة ١٩٣٠، وبخصوص انتمائه الاول الي صفوف الحزب يقول انه في عسال الورد (بلدة تابعة لمحافظة ريف دمشق) بدأ رحلته الطويلة مع الحزب الشيوعي السوري وكان يعمل مراقبا على تعبيد الطرقات في هذه المنطقة كانت هذه فترة قصيرة، ولكنها هامة وانه هناك التقى بناصر حدة في مزرعة تل فطايا"(٦).

يعد انتساب بكداش الي الحزب الشيوعي وترفعه فيه، مسالة مهمة عند الكورد السوريين، لان الرجل الاول في الحزب هو شخص كوردي بالمقام الاول على الرغم من عدم تطرقه الي هذه النقطة الا في مرات نادرة، وعد الكثير من المحللين والباحثين الي ان انتخابه ادى ازدياد نفوذ الكورد في الحزب الشيوعي السوري، وارتقاء بعضهم لمناصب رفيعة في الحزب.اعتقل للمرة الأولي سنة ١٩٣١ ودام أربع شهور، ثم اعتقل مرة ثانية سنة ١٩٣٣، حيث بدأ بترجمة كتاب بيان الحزب الشيوعى، و انتخب أمينا عاما للحزب الشيوعى فى سوريا ولبنان خلفا لفؤاد الشمالي سنة ١٩٣٦ (٧). ويشير الي دوره الاولي في الحزب (قمت بترجمة البيان الشيوعي لكارل ماركس وفريدريک انجلس من اللغة الفرنسية إلي اللغة العربية سنة ١٩٣٣) و في أوائل سنة ١٩٣٣ سافر إلي موسكو سرا عن طريق فرنسا وكان اسمه الحركي في الكومنترن (رمزي) وبقي في

موسكو سنتين ونصف درس الماركسية – اللينينية والاقتصاد السياسي وتعلم اللغة الروسية وفي سنة ١٩٣٧ اصبح أمينا عاما للحزب الشيوعي السوري حدث ذلک بعد عودته من موسكو حيث عقد اجتماع لمثلي جميع المنظمات موجودين في هذا الاجتماع الذي انتخبت فيه«(٨).

وبعد سنتين من انتخابه أمينا عاما للحزب سنة ١٩٣٧ والتى تبلورت خلالها مرحلة التكوين التنظيمي والفكري السياسي ـ النسبية للحزب، طهر الحزب نفسه من رفاق الطريق من البرجوازيين الصغار واعلن الطلاق معهم ومع التيارات البرجوازية المتخلفة داخل الحركة الشيوعية في سوريا وحدد الحزب توجهه للمستقبل(٩). وكان له دور كبير في النقاشات والقرارات التى صححت الكثير من المفاهيم حول الماركسية اللينينية وبالتالي ممارسات الاحزاب الشيوعية الناشئة في المنطقة العربية وتصويب مساراتها وكان اول من ترجم البيان الشيوعي إلي اللغة العربية(١٠).

اختير خالد بكداش كاول ممثل عن المنطقة العربية في المؤتمر السابع للاممية سنة ١٩٣٥ وفي قيادة الكومنترن تحت اسم "رمزي" ولم يكن قد تجاوز الرابعة والعشرين من عمره،(١١). و تزوج سنة ١٩٥١ من وصال فرحة بكداش وعن اهلها يقول (محمد علي فرحة والد زوجتى ام عمار كان من ابطال الثورة السورية) (١٢) ويبدو من مذكرات الشيوعي يوسف فيصل ان عائلة وصال فرحة بكداش كانت لا تزال متمسكة بأصولها الكوردية بدليل انه عندما اضطر

لتواري عن انظار، جاءته الشيوعية الشابة وصال وهي تحمل في محفظتها مسدس صغير للحماية وانه انتقل الي بيت خالها في قرية القابون بهجت بكداش، ويقول عن ذلک ×العائلة كردية وتتكلم باللغة الكردية ولا أزال احفظ حتى الأن بعض التعابير والكلمات التى كانت تتردد امامي (قابي بكرو) اغلق الباب (فخو) اشرب، (بخو) كل (جاوايى) كيف حالک و قضينا يومين أو ثلاثة عند هذه العائلة (١٣).

وصف الأديب عمر فاخوري بكداش في أوائل أربعينيات القرن الماضي بما يلي: "لقد كان خالد بكداش أحد القلة من القادة الشعبيين، الذين تمخض عنهم كل ما في الشعب من جوهر أصيل، من طاقة عاتية، من عناد في الحق، من صبر على المكاره، من إيمان في المستقبل، كما قال عنه الأديب مواهب كيالي " إن خالد بكداش طراز جديد من رجال السياسة، لم يؤت امرؤ ما أوتيه من كفاءات ومواهب"(١٤).

توفي سنة ١٩٩٥ وقد نعته اللجنة المركزية للحزب في بيان لها بالمناسبة بما يلي (ان الشيوعيين السوريين يقفون اجلالا لقائدهم العظيم، ويقسمون على الحفاظ على وحدة حزبهم، كما يحافظون على حدقات عيونهم، ويقسمون ان يسيروا على دربه، درب الدفاع عن لقمة الشعب، دون ان تلين لهم قناة مهما بلغت الصعاب، كما علمهم دائما) (١٥).

اشار بكداش في مرات قليلة إلي ثنائية العلاقة بين الكورد والعرب، وحتى تلک الحالات النادرة يكرس جهده للقول والايحاء إن كل شيئ يبدو طبيعا لولا التدخل الأجنبى ومن ذلک قوله ×إن للعرب والاكراد تاريخا مشتركا وهنا في سوريا لم يجر التفريق بين مواطن وآخر على أساس منشئه أو دينه وهذه النقطة اثيرت في السنوات الأخيرة لغايات سياسية محضة وللاسف من قبل بعض من يدعون بانهم شيوعيون إننى ابن دمشق وفيها رايت النور وكذلک والدي وجدي وفي تاريخ سوريا الحديث كان رئيس الجمهورية السورية محمد علي العابد الذي امتدت ولايته بين اعوام (١٩٣٢ – ١٩٣٦) وكذلک رئيس الوزراء المرحوم عطا الايوبي كان كلا هما من منشأ كردي وفي الخمسينات كان وزير الدفاع السيد رشاد برمدا وكذلک وزير الداخلية الاستاذ علي بوظو من اصل كردي وكانا يمثلان الشعب إي إن القضية كانت طبقية من المعروف أيضا الدور الهام الذي لعبه العديد من المفكرين من اصول كردية في حركة التنوير العربية اذكر منهم الشاعر احمد شوقي وقاسم امين والاسرة التيمورية في مصر والزهاوي والرصافي في

العراق ومحمد كرد علي رئيس المجمع العلمي وخيرالدين الزركلي في سوريا وكذلک إبراهيم هنانو الذي كان ينتمي إلي اسرة كردية في حارم (١٦).

واما بخصوص موقفه من إقامة دولة كردية يقول خالد بكداش في إحدى المقابلات التى اجريت معه لقد التقيت مع ممثلي القوميين الأكراد وقلت لهم ألان يجب الاكتفاء بالحكم الذاتي الحقيقي ضمن حدود الدولية وفي المستقبل حسب ما تتطور الأمور وعندما تنتصر الاشتراكية في المنطقة يمكنكم إذا اتفقتم إن تؤلفوا في هذه المنطقة دولة كردستان(١٧).

ومن بدايات موقفه من أبناء جلدته الكورد، كان تحامله في خطابه على الانفصاليين في الجزيرة وجبل الدروز واللاذقية الذين قال عنهم بانهم مستعدون للارتماء في احضان أية دولة اجنبية في سبيل تجزئة سوريا وحفظ زعامتهم على فقراء الفلاحين(١٨). ويقول في احدى المناسبات (ولو تم اخذ جزء من سوريا إن الحدود التى يرسمها القوميون الأكراد تشمل جزءا من سوريا أيضا انظر إلي الجزيرة الجزيرة ليست منطقة كردية يوجد فيها عدد كبير من الأكراد ولكن يوجد بينهم عرب كثيرون يوجد اشوريون وتركمان) (١٩) وفي سؤال حول اللغات التى يجيدها اجاب بكداش انه يتكلم قليلا الكردية ولكنه لايستطيع تقديم تقرير باللغة الكردية واجمل كلمة في اللغة الكردية : (خويبون) وتعنى الاستقلال وماذا تعنى كلمة ازاد بالكردية: اجاب آزاد تعنى الحرية(٢٠).

المهم في الامر،ان انتخاب خالد بكداش ابرز شخصيات الحزب الشيوعي السوري عبر كل مراحله كان له الاثر الاعلى على ابناء جلدته الكورد والذين استبشروا بتوليه ذاک المنصب الهام، الا ان ذلک لم يغير من واقع حالهم شيئا ، ويبدو ان الامين العام للحزب كان يخشى ان يتهمه منافسوه الآخرون بميله الي ابناء جلدته، لذا كان يحاول جهده للتغنى بابناء القوميات الاخرى على حساب الكورد وحجمهم ودورهم البارز في الحزب.

المصادر و الهوامش (Endnotes)

(١) اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري، خالد بكداش وداعا حزبک باق، مجلة الطليعة، السلسلة الجديدة، (العدد١٧ ـ العددالثالث)، ١٩٩٥، ص٦.

(٢) المنذر معروف، خالد بكداش وبعض مسائل الفكر والفلسفة والادب، مجلة الطليعة، السلسلة الجديدة، (العدد ٦٧ـ العدد الرابع)، (دمشق،٢٠٠٧)، ص٣٤.

(٣) عماد نداف، خالد بكداش يتحدث...، دار الطليعة، (بيروت،١٩٩٣)، ص ٢١ـ٢٦.

(٤) نبيل ملحم، النص الكامل للمقابلة التى اجرتها مجلة (الكفاح العربي) مع الرفيق خالد بكداش الأمين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري، نشرتها في العدد (٦٧٨)، ٢٩ تموز ١٩٩١، مجلة دراسات اشتراكية العدد(١٠٤)، السنة الرابعة عشرة، ١٩٩١، ص٢١ .

(٥) عماد نداف، المصدر السابق، ص ٢٧ .

(٦) المصدر نفسه، ص٢٠.

(٧) مهدي انس جرادات، موسوعة الاحزاب السياسية في الوطن العربي، دار اسامة، (عمان، ٢٠٠٦)، ص١٣٠.

(٨) عماد نداف، المصدر السابق، ص٢٤.

(٩) وليد فارس، خالد بكداش دفاعا عن المثل ونقاوة الماركسية – اللينينية، مجلة الطليعة، السلسلة الجديدة، (العدد٦٧ـ العدد الرابع)،(دمشق، ٢٠٠٧)، ص٢٠

(١٠) المنذر معروف، المصدر السابق،ص ٣٤ .

(١١) د. وليد فارس، المصدر السابق ص ١٨ .

(١٢) عماد نداف، المصدر السابق، ص٢٧. ولدت في حي الاكراد ١٩٣٢ واسم امها بدرية المللي ووالدها محمد علي فرحة الذي نفي الي الاناضول زمن الاحتلال التركي، تعلمت في مدرسة التجهيز للبنات ولم تكمل دراستها الثانوية بسب تعرضها الدائم للملاحقة والاعتقال السياسي، قادت اول مظاهرة نسائية حين شيع جنازة (نضال الارشي) انتسبت الي صفوف الحزب الشيوعي اشتغلت معلمة في الارياف ثم تفرغت للعمل في صفوف الحزب كلفت بتوزيع المنشورات في فترة الانقلابات العسكرية، تابعت درستها العليا وحصلت على دبلوم في الصحافة من معهد الصحافة بموسكو وتشغل منصب الامين العام للحزب الشيوعي السوري حاليا، طالب ابو عابد، الامين العام في لقاء مع تشرين الاسبوعية، مجلة الطليعة، السلسلة الجديدة، (العدد ٢٩ ـ العدد الثاني)، (دمشق، ١٩٩٨)، ص ١٥ – ١٧، عزالدين علي ملا، حي الاكراد في مدينة دمشق بين عامي ١٢٥٠ـ١٩٧٩ دراسة تاريخية – اجتماعية – اقتصادية، (بيروت،١٩٩٨)، ص١٣٩ ـ١٤٠.

(١٣) للمزيد من التفاصيل ينظر: كتابه، ذكريات ومواقف، ط٢، دار التكوين، (دمشق، ٢٠٠٧). ص٦٠.

(١٤) صحيفة صوت الشعب، العدد ٢١٧ (١٧١١)، ٣٠ تموز ـ ٥ آب ٢٠٠٩.

(١٥) اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري، خالد بكداش وداعا حزبك باق، مجلة الطليعة، السلسلة الجديدة (العدد ١٧ – العدد الثالث)، (دمشق١٩٩٥)، ص٨.

(١٦) عماد نداف، المصدر السابق، ص ٨٧ .

(١٧) المصدر نفسه، ص ٨٩.

(١٨) محمد حرب فرزات، الحياة الحزبية في سوريا ١٩٠٨ـ ١٩٥٥، منشورات دار الرواد، (دمشق، ١٩٥٥)، ص ٢٠١ـ٢٠٢.

(١٩) عماد نداف،المصدر السابق، ص ٨٩ ـ ٩٠.

(٢٠) المصدر نفسه، ص ٢٥.